إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد الخامس – ربيع ١٣٩١ش/آذار٢٠١٢م

العرفان عند رضيّ الدين آرتيمانيّ؛ رؤية نقدية

زرين تاج برهيزكار*
فاطمة حيدرى**

الملخص

يعتبر العرفانُ معرفةً تقومُ على أحوال وحالات روحانية يرتبط الإنسان من خلالها بالوجود المطلق دون أيّ وساطة تُذكر. وبناءً على هذا التعريف، يظهر كلامُ العارف – شعراً كان أم نثراً– كبيان عن تجارب عرفانية اكتسبها خلال سلوكه العرفانى، أو نظرته الخاصة بالخلقة والكون على أساس تلك التجارب العملية. ولهذا نرى أنّ كلامه يفوق مستوى العالم الواقعى ويخترق المحسوسات، بحيث لم يُدرِك أقوالَه إلا مَن كانت لديه إمكانيةُ الاستيعاب والفهم من خلال التعاليم الحقة. يتعرّض هذا المقالُ مع رؤية نقدية بدراسة العرفان عند رضيّ الدين آرتيمانى.يعتبر رضيّ الدين آرتيمانى عارفا ربانيا عاش فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى والذى قد اشتهر بديوانه وساقى نامته فى عهد شاه عباس. فلاقت "ساقى نامة" التى نظمت فى قالب مثنوى شهرة واسعة بين أشعار رضيّ الدين آرتيمانيّ وذلک بسبب روح الرأفة والعاطفة التى تخيّم عليها.

الكلمات الدليلية: العرفان، الوجود المطلق، كلام العارف، التجارب العملية، التعاليم الحقة، ساقى نامة.

---

*. أستاذة مساعدة بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج، إيران. Parhizkar@kiau.ac.ir
**. أستاذة مشاركة بجامعة آزاد الإسلامية فى كرج، إيران.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د.مهدى ناصرى
تاريخ الوصول: ١٣٩١/٣/٣هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩١/٣/١٨هـ. ش

المقدمة

تصلُ أشعارُ الصوفى المسلک فى عهد التصوف رضىّ الدين آرتيمانىّ إلى ما يقاربُ ألفَ وخمسمائة بيت.وتصنّفه كتب التواريخ من جملة السادة الأشراف وأصحاب الأخلاق الحميدة، كان يُعرف بفصاحة اللسان، ولد فى النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى فى آرتيمان من توابع تويسركان. يبدوأنّ عائلة رضىّ كانت تتذوق الشعر، فقد كان خان أحمد خان (جد رضىّ) وأحد أنجاله (ميرزا إبراهيم) وعدد من أحفاده من أمثال ميرزا عبد الباقى وميرزا هاشم وميرزا كاظم وميرزا أبوالحسن، من الشعراء. فيشملُ شعرُ رضىّ القصائدَ، والمقطوعات الغزلية، وترجيع بند، ورباعى، ومفردات، وساقى نامة وسوكند نامة. ويقصد من المعشوق فى أشعاره ذات البارى تعالى وهدفه الوصول إلى ساحة الألوهية.

عصرُ الشاعر رضىّ

عاصرَ الشاعرُ رضىّ فترةَ الصفويين. وتُعتبر هذه الفترةُ من أهمّ الفترات التاريخية فى إيران. وتقارنت فترةٌ من فترات حياته مع عهد شاه عباس الأول (النصف الأول من القرن الحادى عشر) ذلک الرجل الذى ازدهرَ الاقتصادُ فى عهده من خلال توفيره الأمنَ وتأمين الطرق وبناء الخانات... وبناء المبانى والمساجد والجسور والبساتين وتخطيط المدن و... لم يساهم فى ارتقاء الفن المعمارى فحسب وإنما وفّر الراحةَ والرغد فى عيش الناس.

وتُعتبر فترة الصفويين بوجه عام ودون الأخذ بنظر الاعتبار فترة شاه عباس الكبير الحافلة بالمفاخر، فترةً عصيبة. فعلى سبيل المثال، وإن استطاع شاه إسماعيل إنهاءَ الإقطاعية وتوحيد الشعب عقائديا ودينيا بعد الإعلان عن مذهب الشيعة كمذهب رسمى فى البلاد، إلا أنّ هذه الفترةَ سجّلت كثيرا من التراجع فى المجالات المختلفة الأدبية منها: العلمية والاجتماعية والفكرية. أضِف إلى ذلک ما كانت تعانى منها هذه الفترةُ من الظلم والأعمال المخزية والشائنة فى معاقبة الناس وانتشار الأفيون والشراب والتى أصبحت نهايةً مؤلمة لفترة كانت قد تمتاز بداياتُها بالبطولات التى يشهد لها التاريخُ بذلک.

«إذا ما وضعنا حسنات وسيئات العهد الصفوی فی ميزان لتقييمها، لوجدنا السيئاتِ تفوق الحسناتِ، فهی فترةٌ بدأت قويةً عسكرياً ولكنّها انتهت بوضعٍ لا يُحسَدُ عليه... عهدٌ بدأ بالثروة والتنسيق والترتيب وانتهی بالفاقة والفقر والفوضی.» (صفا، ۱۳۷۳ش: ۵/۶۲)

بدأ العهد الصفوی بنهضة قام بها جماعةٌ من الصوفية، وانتهی بفترة مناقضة ومخالفة لأهل التصوف واستمرّ هذا الوضعُ حتی بداية فترة حكم محمد شاه قاجار الملكی (۱۲۵۰ق). ومن جهة أخری أدّت سيطرةُ العلماء والفقهاء علی الأمور إلی منع انتشار التصوف وتوسيع الخانقاه والخانقاهيين.

وقد بقی من التصوف فی هذه الفترة ألقابٌ مثل (صوفی أعظم)، (خليفة سلطان)، و(مرشد كامل). (ومرشد كامل هو الاسم الوحيد الباقی من آداب السلوك المنسوب للجدّ الكبير الشيخ صفی الدين الأردبيلی)، ولكن المضايقات والتعصبات لم تفلح فی التقليل من هذه الرغبة الفطرية فی الإنسان الإيرانی التی تقوده إلی هذا النوع من الأيديولوجية.

سيرته وحياته

ولد سيد محمد المتخلّص بـ(رضیّ) فی النصف الثانی من القرن العاشر الهجری فی (آرتيمان) من توابع تويسركان. وقد اعتَبر غالبيةُ المؤرخين الملمّين بأحوال رضیّ آرتيمانیّ أنّه من أهل الذوق والعرفان.

«كان العارف الربانی سيد رضیّ آرتيمانیّ الذی اشتهر بديوانه وساقی نامته فی عهد شاه عباس، كان من قرية آرتيمان.» (شيروانی، لاتا: ۱۹۲) «...كان مير رضيّآرتيمانیّ من السادة الأشراف وحسن الطبع وفصيح الكلام، متذوّقاً للعرفان ومدركاً بمراتب السلوك....» (قدرة الله، لاتا: ۲۶۴) «إن ميرزا رضیّ آرتيمانیّ آية من الزهد وليس لصلاحه ووسعة ذوقه حدٌّ يمكن تعيينه، وبالتواضع موصوفٌ وبالتضحية معروف، وصاحب

کمال فی عهده، بلغ رتبة من الشعر.» (سفینة خوشکو) «إن میرزا[1] رضیّ آرتیمانیّ کان زعیمَ العرفاء وسید المعرفة، ورغم القیود والحیلة، إلا أنّ وسعةَ ذوقه لم تجد النهایة، جمع التواضع والروح العرفانیّ معاً.» (تذکرة میخانة، نصر آبادی)

غادرَ رضیّ فی أیام شبابه مسقطَ رأسه الذی کان من توابع تویسرکان، إلی همدان طلباً للعلم. وأصبح أحدَ تلامذة (مرشد بروجردی)[2] (م۱۰۳۰). ویُعتبر عبد الباقی نهاوندی مرشدی بروجردی هذا، من مریدی میرزا إبراهیم حسنی همدانی وهو أحد روّاد التصوف فی تلک المنطقة. وإن کان ذبیح الله صفا یعتقد بأنّ رضیّ التقی بنفسه مباشرة میرزا إبراهیم.» (صفا، ۱۳۷۳ش: ۵/۱۰۶۹)

لم یُذکر اسمٌ لمیرزا إبراهیم فی دیوان رضیّ، ولکنه یَعتبر نفسَه فی مقطوعة غزلیة مجنونا بحب مرشد بروجردی:

رضی سان چه باک ار ندارم خرد که من در جنون ''مرشد'' کاملم

–رضیّ لایخشی من ألا یکون لدیه عقل مادام فی جنون ''مرشد'' کاملاً.

علی کل، فبَعد مغادرة مرشد إلی شیراز، غادرَ رضیّ إلی أصفهان وحسب ما جاء به سیّد علی حسن خان فی ''صبح کلشن''، أنه أصبح کاتبا فی دیوان شاه عباس الکبیر وتزوّج إحدی الفتیات من سلالة الصفویین.

وبعد حصوله علی براءة شیخ الإسلام فی تویسرکان وضواحیها، عادَ إلی مسقط رأسه وظل منشغلاً فی أداء الوظائف الدینیة إلی آخر حیاته وفق ما جاء فی منتظم ناصری عام ۱۳۰۷ق.

أشعار رضیّ

یبدو أنّ التذوقَ الشعریّ کان وراثیاً فی سلالة رضیّ، فهذه الأبیات لجده خان أحمد

---

۱. قد جاءت فی نسخة إمامی المطبوعة: «إنه وفق اسم (میر رضیّ آرتیمانی)، ووفق ما نقله المؤرخون، یبدو أنه سید علوی. ویبدو أنّ إضافة کلمة میرزا تدلّ علی أنه کان یعمل فترة کاتباً فی مکتب شاه عباس الصفوی.» مقدمة: ۱۲.

۲. فیما یخص أحوال مرشدی بروجردی والتعرّف علی شعره یمکن الرجوع إلی تاریخ الأدب فی إیران، ج۵: ۱۰۳۵ – ۱۰۳۹.

خان:

از دست زمانه بین که چون می گریم　　از گـــــردش چرخ واژگون می گریم
بین طرفه که مانند صراحی شب وروز　　در قهـــقهه ام ولیک خون می گریم

– اُنظر کیف أبکانی الدهرُ وأنا بالمقلوب أبکِی من دورة الأیام.

– اُنظر إلی حالِی کصراحیة اللیل والنهار، أبدوضاحکا ولکنّی أبکِی بدلَ الدموع دما.

وکان لخان أحمد خان أخٌ یُدعی سید شاه مرتضی وهوشیخ الإسلام أیضاً وکان یُنشد الشعر. ومن ناحیة أخری کان أحد أولاد میرزا إبراهیم المتخلص بأدهم – التی کانت والدته من سلالة الصفویین– متذوقاً للشعر، ولکنه وقع فی السجن بسبب ارتکابه أعمالا غیر أخلاقیة وتعاطیه المخدرات، وسوء الأدب والتحلل، حتی تُوفِّی فی الهند عام ۱۰۶۰ق ومن أشعاره:

مرا زاهدی سوی محراب خواند　　ز زهدش دماغ دلم خشک ماند
ندا آمد از ســـوی میخانه ام　　کـــه ای ادهم مست ودیوانه ام
تو را کی سرو کار با زاهد است　　تو شاهد پرستی خدا شاهد است

– دعانِی أحدُ الزهاد إلی المحراب، أزعجنی ذلک الزهد.

– جاء هاتف من الحانة یقول أیها الإنسانُ إنک فی سکر وجنون.

– أین أنت من الزهد، أنت رجل شهادة والله شهیدٌ علی ذلک.

وقد جاء فی کتب التواریخ اسمُ عدد من أحفاد رضیّ من الشعراء کمیرزا عبد الباقی، ومیرزا هاشم، ومیرزا کاظم ومیرزا أبوالحسن.ویشملُ دیوانُ شعر رضیّ القصائدَ، والمقطوعات الغزلیة، وترجیع بند، والرباعیات، ومفردات ساقی نامة وسوکند نامة؛ فتبلغ أشعارُه بالمجموع إلی ألف وخمسمائة بیت. وهناک بعضُ أبیات تجده غیر سلیمة فی دیوانه مثل هذین البیتین:

تو بدین چشم شوخ وروی چو ماه　　ببـــری دل زدست سنگ سیاه(!)

– أنت بتلک العینین الفاتنتین والوجه کالقمر، یُغرَم بک حتی صاحبُ القلب القاسی.

بس حرف كه بر رضى گرفتيم　　　بعـــــضى سخنان گرفت ما را

- كم انتقدنا كلاما من رضىّ ولكن بعض هذه الانتقادات أصبحت ضدنا.

وهما من مطلع هذا البيت:

شــعر نه چنان گرفت ما را　　　كز دوست توان گرفت ما را

- لم يتمكن الشعر من جذبنا إليه بقدر ما لدى الحبيب من قدرة الجذب.

ولوجود هذه الأبيات اعتَبر الدكتورُ صفا، شعرَ رضىّ (من المتوسط إلى الردىء أحياناً)، ولكن المضامين العامة فى أشعاره تدلّ على أفكاره العرفانية والتذوق والوجد الناتج عن هذه الأفكار:

مـگر شور عشقت زطغيان نشيند　　　كـه بحر سر شكم ز طوفان نشيند

عجب باده ى خوشگواريست كـه　　　در خـــــون گبر و مسلمان نشيند

نشسته است ذوق لبت در مـذاقم　　　چو گنجى كه در كنج ويران نشيند

رضى شد پريشان آن زلف يا رب　　　پريــــــــشان كننده پريشان نشيند

- وهل يهدأ جوى حبّك من طغيانه حتى يهدأ البحرُ الهائج من طوفانه.

- يا لها من خمرةٍ لذيذة يستلذّ بطعمها كلُّ كافر ومسلم.

- تذوقُ فمُك فى ذائقتى ككنز فى الأنقاض.

- قد هام َرضىّ بالصُدغ يا ربّ، والمشوّش الطائش مازال فى محنة.

***

داند آن كس كه ز ديدار تو برخوردار است

كـــه خرابات وحرم غـير در و ديوار است

اى كـــه در طور ز بـى حوصلگى مدهوشى

ديده بـــــگشاى كـه عالم همگى ديدارست

همه يا مال تو شـد خواه سر و خواهى جان

وآنچه در دست من از تست همين پندارست

برخور از بـــــاغچه حسن كه نشكفته هنوز

گـــــل رســـوايى ما از چمن ديـــــدارست

باور از مات نیاید به لب بام درآی تا ببینی

کــه چه شـــــور از تو در این بازار است

– هل یعلم مَن یتمتّع بلقائک أنّ الأطلال والحرم لیس بالجدران والأبواب.

– ویا مَن فی طوره متحیر مِن شدة الحیرة، تَبصَّر فإنّ العالَم کله مشاهد.

– الکلُّ أصبح ملکک، فالرأس والنفس کلاهما ملک لک وما أملکه أنا منک هو هذا التصور.

– تناوَل مِن روضة الحسن فإنها لمّا تزهر بعدُ، واللقاء یُخزینا ویفضحنا.

– أخرِج من الضباب إلى الوضوح لکی تشاهد ما أصیب به الخلقُ من وجدک.

***

درعشق اگـــــر جان بدهی جان آنست ای بی سر وسامان سر وسامان آنست

گـــــر در ره او دل تـــــــو دردی دارد آن درد نـــگه دار کــــه درمان آنست

– أیها الحبُّ إن فارقت النفس فإن النفسَ هی الحب، واعلم أیها المتیّمُ أنّ ذلک هو الوصول.

– إن کان قلبک یتألّم فی هذا الطریق، فاحتفظ بالألم فلیس له من علاج ولا سبیل.

***

از دوری راه تـــــا بــــه کـی آه کنی وز رهـــرو رهـــــزن طلب راه کنی

یا رب چه شود که بر سر هستی خود یک گـــام نهی وقصـــه تــــمام کنی

– إلى متى تتألم من بُعد الطریق وتطلب من قاطع الطریق أن یدلّک على الطریق.

– یا ربّ هل من سبیل فی أن تتقدّم بخطوة فی الکون وتُنهِی القصة.

تجدرُ الإشارةُ إلى أنّ أسلوب نظم الشاعر رضیّ، وإن کان مصنّفا من ناحیة الزمان والمکان على النمط الهندیّ، ولکنّه یخلو من المیزتین اللتین یمتاز بهما الأسلوبُ الهندیّ وهما؛ التعقید اللفظی والإبداع فی الکلام لاسیما لدى بعض الشعراء. إنّ کلام الشاعر رضیّ سهل ورسل فکان یسعى فی استخدام المعانی کی یقتدی بالشعراء الکبار من العرفاء مستعیناً بالأدوات الشعریة لبیان حسه الباطنی.

يَعتبر (هرمان آتيه)، الشاعرَ رضىّ «من جملة الشعراء الذين لم يتصنّعوا فى الأوزان والقوافى ولم يتقيّد فيهما ما يجعلنا نشعر بأنه يُنشد الشعرَ من أجل عرض الحقائق والبوح عن الإحساسات، وليس للحاجة والتكليف من مكان فى وجود الشاعر.» (آتيه، لاتا: نقلا عن مقدمة ديوان رضىّ، تصحيح محمد على إمامى) وكانت هذه فى الواقع خصوصيةً يتميّزُ بها أغلبُ الشعراء الذين مكثوا فى إيران فى ظل الحكومة الصفوية، ولم يغادروا بلدهم إلى بلاط الهند.ويمكن اعتبارُ لجوء العرفاء إلى الشعر فى بيان التعاليم وعرض الشهودات، سَواء كانت بهدف التعليم أو غيره، ناتجةً عن إدراكهم لحقيقةٍ أنّ الذوقَ الإيرانى يُفضّل الشعرَ لطبيعته الثابتة فى التأثير.

كما أنّ بيان التجارب العرفانية وعرض الفكرة الناتجة عن نظرة العارف للكون التى يحصل عليها إثرَ تجاربه العملية وتنحصر به دون غيره، تفتح للشاعر آفاقاً جديدة تجعل كلماتِه تجتاز المحسوساتِ المدركة فى العالم المادّىّ، ما يؤدّى بذاته إلى تحويل الكلمات إلى رموز. وإن لم تكن لدى الشاعر وأمثاله من الشعراء معانٍ معيّنة فى هذا الخصوص، ولكن وبدون ترديد أصبحت الرموز المكرّرة فى عبارات الحب العرفانىّ بالأخص فى الشعر، مبنى يلجأ إليها مَن لايمتلك أىَّ تجربةٍ عملية. ولانقصد من هذه العبارة أنّ شاعرنا رضىّ قد اكتسب الذوقَ الناتج عن المفاهيم العرفانية دونَ تجربة عملية يخوضها كلُّ سالك طريق، متأثراً بالشعراء العارفين الكبار السابقين لعهده، وإنّما لايمكن مقارنتُها مع تلك المفاهيم التى سبقته فى كلام هؤلاء الشعراء.

ويصف رضىّ معشوقَه بتلك الكلمات التى عبّر عنها الشعراءُ السابقون، فمحبوبه هو الذات الإلهية الأزلية وهدفه الوصولُ إلى ساحة الإله المقدسة.

يَعتبر رضىّ نفسَه فانياً فى طريق الكمال فالوصول كلُّه وجدٌ وشوق:

مـــــن فاش كنم حقيقت خود را   هـر كس هر چند گويد من آنم

من شخص نيم، شرارى از شوقم   من جسم نيم رضى كه بى جانم

- أنا اُفشِى حقيقتى، وأنا سأكون كما كنت مهما قالوا عنّى.

- أنا لستُ شخصاً، بل جمرةً من الشوق ولستُ جسماً بل بلا روح.

***

وشأن رضیّ کشأن سائر العرفاء فی تضادّ العقل والحب، یَعتبر البرهانَ والعقل حاجزاً فی الوصول إلی الحق:

مگو هیچ با ما ز آییـــــن عقل   که کفرست در کیش ما دین عقل

– لاتُحدِّثنا عن العقل وأصوله، فلیس للعقل مکانٌ فی قاموسنا وهو کفرٌ فی عقیدتنا.

***

ای که در ره عرفان مستمند برهانی   تـــــرسمت چو خر در گل فرومانی

– یا مَن بحاجةٍ إلی البرهان فی طریق العرفان، أخشَی علیک من التعب کالحمار فی الوحل.

***

صد شکر که نیستم من از بی خبران   گـه مست ز وصالم وگهی ز هجران

دانــــــشمندان تمام گریان بر مـن   خندان مــــن دیـوانه به دانشمندان

– ألفُ شکرٍ أنّی لستُ من الجاهلین، أحیاناً تجدُنی ثَملاً من الوصول وأخری ثَمِلاً من الهجر.

– جمیعُ العلماء یبکوننی وأنا المبتسمُ المجنون بهم.

ویبدو رضیّ کسائر الشعراء الذین سلکوا طریقَ العرفان کحافظ الشیرازی، معتبراً المسجدَ والخرقةَ إشاراتٍ لکید واحتیال الزاهد المُرائی:

سبحه زهد وسالوسی خرقه زرق وشیادی

آه از ایـن خدا پرستی، داد از ین مسلمانی

– سبحةُ التزهد والتملّق وخرقةُ الاحتیالِ الزاهیةُ، آه مِن هذا التعبّد، آه مِن هذا الإسلام.

***

رخ ای زاهد از می پرستان متاب   تو در آتش فتاده ای ما در آب

– أیّها الزاهدُ لاتُدیِّر وجهَک عن الخمّارین، فإنک مُلقَی فی النار وهم فی الماء مُلقَون.

***

از این دین به دنیا فروشان مباش به جز بنده ی ژنده پوشان مباش

– لاتکن فی هذا المذهب من الدنیویین، وکُن خاضعاً فقط لأصحاب الثیاب البالیة.

یَعتبر رضیّ نفسَه فی طریق السلوک العرفانیّ أکثرَ تقدّماً من جنید البغدادی وبایزید البسطامی!

ره فـــقر وفنا را آن چنان در پیش بگرفتم

که واپس ماند بسیاری جنید و بایزید از من

– سلکتُ طریقَ الفقر والفناء حتی استغرب جنید وبایزید منّی.

ولکنه من جهة أخری یظهر کمعلم للأخلاق یحذّر من الدنیا الفانیة التی یعبّر عنها بالنفس الواحد (بطرفة عین واحدة) رغم وسعها واصفاً إیاها بمکان التعب والمشقة:

جهان منزل راحت اندیش نیست ازل تـــا ابد، یک نفس بیش نیست

سراسر جهان گیرم از تست وبس چه می خواهی آخر از ین یک نفس

– لیس العالمُ مکاناً للراحة، ومن أزله إلی أبده کلُّه طرفةُ عین واحدة.

– ولیکُن العالمُ کلُّه لک أنت وحدک، ولکنک ماذا ترید من هذه الدنیا؟!

ویری کسائر المتقدمین أنّ الفلک هو المسؤول عن الحرمان وخیبة الآمال، ولهذا یطلب الخلاص من الخالق.

فلـک بین که با ما جفا می کند چه ها کرده است وچـه ها میکند

بـر آورد از خاک ما گرد ودود چـــه می خواهد از ما سپهر کبود

نمی گردد این آسیا جز به خون الـــهی که برگردد ایـــن سرنگون

– اُنظر إلی الفلک کیف یظلم بحقنا، اُنظر ماذا فعل وماذا یفعل.

– قد أثارَ الغبارَ مِن أرضنا، فماذا یرید هذا الفلکُ منّا.

– فلاتدورُ الرَّحَی إلا بالدم، إلهی رُدَّ هذا الانکبابُ.

ویری رضیّ نفسه أحیاناً مستسلماً أمام القضاء والقدر:

هیچ کاری نشد به تـــدبیرم چه کنم چه کنم، مبتلای تقدیرم

با قضا من نه مرد مصلـحتم بـــا قدر، من که وچه تدبیرم...

– لم يَحصل شيءٌ بإرادتی وتدبيری، ماذا أفعل فأنا متورِّطٌ بالقدر.

– مع القضاء، لا أنا رجل منفعة، ومع القدر مَن أنا وما هو تدبيری.

وتشتهر (ساقی نامة) من بين أشعار رضیّ بما تحمله مِن رقة العواطف، وإن كان عددُ أبياتها أقلَّ من بقية ساقی نامات العهد الصفوی.

ساقی نامة[1]:

يُمكنُ الحصولُ على كتابة ساقی نامة فی خمريات رودكی ومنوتشهری، ولكن الشاعر نظامی اشتهر بأنه أولُ من أنشدَ هذا النوع من الشعر، وإن لم تأتِ ساقی نامته بصورة مستقلة وإنما ينبغی الحصولُ عليها من خلال منظومته ''اسكندر نامة''[2].

ونستثنی هنا ساقی نامة حافظ فی القرن الثامن الهجری:

بيا ساقی آن می كه حال آورد — كـــــرامت افـــزايد كمال آورد

– تعالَ أيها الساقی، فإن المُدامةَ أتَت بالفرح والسرور وستزيد من الكرامة وبها يتحقق الكمال.

فی الواقع بدأت كتابةُ الساقی نامة المستقلة منذ طليعة القرن العاشر فی عهد الصفويين، حيث اعتُبِر أميدی طهرانی (٩٢٩ق) رائداً لها.أصبحت كتابةُ الساقی نامة أحدَ الأصول الشعرية فی القرن العاشر الهجری وما بعده وقلّما نجدُ شاعراً لم يَخُض فی تجربة كتابة هذا النوع من الشعر. وتُستخدم الساقی نامة كسائر الأشعار القديمة لبيان العواطف، مؤكدةً على عدم ثبات العالم وبطلانه، والتذكير بفناء الإنسان وهناک إشارةٌ فيها إلى حالات التزوير والرياء، واللجوء إلى شرب الخمر والسكر هروباً من الواقع الملیء بالمصائب والنوائب التی تحلّ بالإنسان وكذلک الوصول إلى مرتبة الفناء وفی النهاية الوصول إلى ساحة الإله.

وأما الشراب الذی نجده فی ساقی نامة، فهو عبارةٌ عن مرتبة الشهود الذی يَنقل الإنسانَ من مرحلة المُجاذبة إلى الحقيقة. وتمتاز الساقی نامات فی هذه الفترة بالمدح،

---

١. نوع من الشعر يوجّه الشاعرُ فيه الخطابَ إلى الساقی.

٢. جاءت هذه الساقی نامة بصورة مستقلة مشتملة على ٢٠٠ بيت، فی تذكرة ميخانة.

سَواءً مدح الأئمة لاسيما الإمام الأول للشيعة أو مدح الملوک.

يَصلُ عددُ أبيات الساقی نامات إلی مائةٍ وفی بعضها إذا كانت تفصيلية، تصلُ إلی آلاف بيت (تحتوی ساقی نامة ظهوری علی أربعة آلاف وخمسمائة بيت). ولكن تصلُ أبيات ساقی نامة الشاعر رضیّ إلی ما يقارب ١٧٥ بيتاً، يبدأها باللجوء إلی الحضرة الإلهية وبأداء اليمين (بملک نجف، وبضياء قلوب العاشقين، وبالعارفين والقلوب الحزينة).

الـــهی بـــه مـــستان ميـــخانه ات بـــه عقل آفـــرينان ديوانه ات
به دردی كـــش لجّه ی كبـــــريا كه آمد بـــــه شأنش فرودان ما
به دردی كـــه عـــرش است او را به ســـاقی كـــوثر، به شاه نجف
صـــدف بـــه نور دل صبح خيزان ز شـــادی به انده گـــريزان عشق
عشق به رندان سر مست آگاه دل كـــه هرگز نرفتند جـــــز راه دل

- إلهی أقسِمُک بسُكاری حانک وبأصحاب العقول المجانين.
- أقسِمُک بالمتألم والمتعذب بكبريائک وما أصابه من الانحطاط فی شأنه.
- وبالألم الذی له العرش وبساقی الكوثر بشاه النجف.
- بصاحب القلب المنوّر من الفرح وبأصحاب القلوب الحزينة.
- الحبّ بحقّ العِربيد المسكر العالم بالحقيقة الذی لم يتخذ سِوی طريق السلوک.

ويريد أن يوصل الإنسانَ من المجاز إلی الحقيقة ومن الكثرة إلی الوحدة، ويمنحه قلباً واعياً ونفساً عارفة:

بـــــه ميـــــخانه وحـــدتم را ده دل زنـــــــده وجـــــــان آگاه ده
كـــه از كثرت خـــلق تنگ آمدم به هر جا شدم، سر به سنگ آمدم

- اسمَح لی بالدخول إلی حانِ الوحدة، وامنح لی قلبا واعياً ونفساً عارفة.
- سئمتُ من كثرة الخلق، أينما ذهبتُ لم يُحالفنی الحظُّ.

ويطلب من الربّ أن يعطيه شراباً يجعلُ الجَرَّةَ عاشقةً:

ميئی ده كه چون ريزش در سبو بـــــرآرد سبـــــو از دل آواز هو

- ناوِلنی مُدامةً بمجرّد أن تَصبّها فی جَرَّة، تُنادِی الخابيةُ من الجوف يا "هو".

مدامة تجعل كأسَ مدامة (اليقطين) تُنادِى بالوحدانية:

از آن می که چون ریزش در کدو همـــــه قل هو الله در آید از او

- يخرج من المدامة حين صبّها فى كأس مدامة اليقطين، "قل هو الله أحد".

مُدامة فى وجد وجوى دون أيِّ خابيةٍ أو كأس وسكر:

میئی سر به سر مایه عقل وهـــو شمی بی خُم وشیشه در ذوق وجوش

- مدامة كلُّها صحوٌ ووعىٌ، مدامة فى وجد وجوى دون حباب وكأس.

مدامة تحرّرت منک ومنّى وتطهّرت من كل دنس:

مـــيئی از مـــن و تو گشته پاک شود جان، چکد قطره ای گر به خاک

- مدامة صافية خلصت منک ومنّى، مدامة تصبح روحاً وتقطر قطرة ولو على الثَّرى.

إنّ هذه المدامةَ التى يطلبها الشاعرُ من الساقى، هى مدامةٌ محللة فى عقيدته ومحرمةٌ على غيره:

از آن می حلال است در کیش ما کـــه هستی وبال است در پیش ما

از آن می حـــرام است بر غیر ما کـــه خارج مـــقام است در سیر ما

- المدامةُ محلّلة فى مذهبنا إذ هى الحياةُ والجَناح عندنا.

- المدامةُ محرّمة لغيرنا، لمن هو خارج عن مقام فى سيرتنا.

وأحياناً ترى رضىّ يلجأ فى ساقى نامته إلى معانٍ أخرى:

مغـــنی نوای دگر ساز کن دلم تنگ شد مطرب آواز کن

- أيها الملحِّنُ غيِّر اللحنَ فإنّ قلبى اشتاق للّحن فَغَنِّ لنا

***

مغنی سحر شد خروشی بر آر زخامان افسرده جوشی بر آر

- أيها المطربُ حَلَّ الصباحُ، أهتِف بأعلى صوتک وتَهيَّج اهتياجاً.

ثم يشكو كسائر الساقى نامات من هذا العالم الملىء بالتزوير والحيلة والرياء ويطلب النجاةَ والتخلّص من الطريق الضيق الذى رسمه هذا العالَمُ المجازى:

برون ها سفید ودرون ها سیاه فغان از چنین زنـــــدگی آه آه

همه سر برون کرده از جیب هم   هـــنرمند گردیده در عیب هم
خروشیم برهم چو شیر وپـلنگ   هـمه آشتی های بدتر ز جنگ

– الظواهرُ بيضاءُ والبواطن سَوداء، آه من حياةٍ كهذه.

– الكلُّ يَتدخَّل في أمر الآخَر والجميعُ أصبح فناناً في إظهار عيوب الآخرين.

– يثورُ بعضُنا على الآخر كالحيونات المفترسة، والمصالحاتُ أسوأ من الحروب... .

وفي النهاية يمدح الشاه عباسَ الكبير، مُبدياً إخلاصَه وحبه لأمير المؤمنين عليٍّ بنِ أبي طالب (ع):

بخور می که در دوره عبـاس شاه   بـــه کـــاهی ببخشند کوهی گناه
سکندر توان و سلیـــــمان شدن   ولـــی شاه عبـــــاس نتوان شدن
سگش بر شهان دارد از آن شـرف   کـــــه باشد سگ آستان نـــجف
الهی بـــــــه آنـــان که در توگمند   نـــهان از دل ودیـــده ی مردمند
نـــگهدار ایـــن دولت از چشم بد   بـــکش مــــــد اقبــــال او تا ابد
رضی روز محشر علی ساقی است   مـکن ترک می تا نفس باقی است

– اشرَب المُدامةَ فإنّ في الفترة العباسية، يُغفَر الذنبُ وإن كان كبيرا.

– بالإمكان أن يصبح الإنسانُ اسكندرَ وسليمانَ، ولكن لايمكن أن يكون شاه عباس.

– يكفي لكلبه شرفا على الملوك كونه في عتبة النجف الأشرف.

– إلهي أقسِمُك بالذين فيك هائمون، البعيدين عن قلوب الناس وعيونهم.

– احفظ هذه الدولةَ من عيون الحسّاد ومُدَّ بعمرها إلى الأبد.

– يا رضيّ اعلم أنّ علياً هو الساقي يوم القيامة، فلاتترك المدامةَ إلى الأبد.

رغم أنّ بعضَ الباحثين اعتبروا رضيّ الدين آرتيمانيّ ضمنَ الشعراء المتوسطين ولم يعترفوا بمقامه العرفانيّ الخاص به، لكن حسب ما قال هرمان آتيه إذا لم يُنشِد رضيّ شعراً غيرَ ساقي نامة وسوكند نامة، فلم يُغيِّر ذلك شيئاً في مقامه الأدبي والعرفانيّ الذي اشتهر بهما في عصرنا الحالي.

النتيجة

عاصرَ الشاعرُ رضيّ الدين آرتيمانيّ فی فترة من حياته الشاه عباس. فتُعتبر فترةُ الصفويين مِن أهمّ الفترات التاريخية فی إيران، حيث بدأت بنهضة الصفويين إلا أنّ سيطرةَ العلماء والفقهاء فيما بعد، حوَّلت الأوضاعَ إلى فترة عصيبة لأهل التصوف مما حالت دونَ تطوير الخانقاه.يدلّ الوجدُ والسرور الناتجان عن الأفكار العرفانية فی شعر رضى على سلوكه العرفانیّ؛ فإنّ المحبوب فی ديوان أشعاره هو ذات الباری تعالی حيث إنّ هدفه الوحيد هو الوصول إلى الحضرة الإلهية.وأخيرا يمكن دراسةُ شعر رضيّ من حيث اللغة والمكان فی إطار الأسلوب الهندیّ أو المذهب الهندیّ.

المصادر والمراجع

آتيه، هرمان. لاتا. *تاريخ ادبيات فارسى (تاريخ الأدب الفارسى)*، ترجمة رضا زاده شفق. طهران: لانا.

آرتيمانى، رضىّ الدين. ١٣٦٥ش. *ديوان*. باهتمام محمد على إمامى. طهران: خيام.

آرتيمانى، رضىّ الدين. ١٣٧۴ش. *ديوان*. باهتمام أحمد كرمى. طهران: لانا.

حافظ. ١٣۶٧ش. *ديوان*. تصحيح قزوينى وغنى. باهتمام ع. خربزه دار. طهران: أساطير.

شيروانى، زين العابدين. لاتا. *بستان السياحة*. لانا.

صفا، ذبيح الله. ١٣٧٣ش. *تاريخ ادبيات در ايران (تاريخ الأدب فى إيران)*. مجلد ٣ و۵. طهران: فردوس.

قدرة الله، مولانا محمد. لاتا. *تذكرة نتائج الأفكار*. هند: لانا.

كلجين، أحمد. لاتا. *تذكره ميخانه (تذكرة الحانة)*. تصحيح أحمد كلجين. طهران: لانا.